

لاختلاف ظروف كل طرف من الطرفين . . . الا أن هذه الخلافات تميزت ، مع ذلك ، في حالة الانقاذ بالحدة والانفعال والبعد عن الموضوعية . فالقاوقجي المعروف بهدوئه ووبرود أعصابه لا يرى أسبابا للفشل والنكبة ، حين يتحدث عن سقوط يافا مثلا ، الا « الإهمال والطموح وقصر النظر والتدريب السيء للموظفين الكبار الذين كانوا يعالجون قضية فلسطين » (٩٢) ، وهو هنا يقصد بالطبع اللجنة العسكرية وليس غلوب وكلايتون وأعوان الإنكليز ولم يخطر في باله ان يكون ضعف الحركة الوطنية وطبيعة الانظمة العربية ونفوذ الإنكليز وغير ذلك من أسباب جذرية يمكن أن تفسر تلك الظواهر التي كان يشكو منها ، والتي هي ، بنظر الطرف الآخر ، أقل ما كانوا يرددونه ويقولونه عنه شخصيا .

هذا عن العلاقات الداخلية على المستوى الرفيع ، بين القيادة العامة وقيادة الميدان . ولكن ماذا عن العلاقات ضمن الجيش ذاته ، بين قيادة الميدان ووحدات الجيش وانفرادها؟ ان أول ما يلفت النظر في نوعية هذه العلاقة هو غياب هيئة أركان عامة في قيادة الميدان لتتعامل مع قادة الافواج العاملين في مختلف المناطق التي تواجدوا فيها . كان التعامل يتم بالاتصال المباشر بين قائد الجيش وقائد الفوج رأسا . فالقاوقجي يخاطب من قبل قادة الوحدات لحل المشاكل الادارية والمالية والتسليحية والامنية والتعبوية ، وليس كما هو المتبع في الجيوش النظامية حيث يتم الاتصال بالجهة المختصة في هيئة الأركان ، بل كثيرا ما كان يحدث ما هو أكثر من هذا بأن يلجأ بعض قادة الافواج الى تجاوز القاوقجي للاتصال بالقيادة العامة مباشرة ، كما ان الهاشمي كثيرا ما كان يتجاوز قائد الانقاذ ليخاطب قادة الافواج مباشرة ، وهذا ما يخالف بالطبع أبسط أصول الضبط والتسلسل المعمول بها عادة في الجيوش النظامية . . . هذا ولقد حدث ان اصدر الهاشمي أوامر حركة لبعض الوحدات العاملة في المنطقة الوسطى دون استشارة القاوقجي (أوبرق للرائد عبد الحميد الراوي ، قائد فوج اليرموك الثالث ، لينجد القدس ، فيما كان مشتبكا بمعركة باب الواد على سبيل المثال) . . . وليس هذا فحسب بل ان « أحد الضباط الكفاء ، وهو معروف بشدة انضباطه ودقته وتنظيمه وبسالته ، بلغ التجاوز عنده ، بعد خدمة ثمانية أشهر في قوات الانقاذ ، انه لجأ الى تعميم كتاب استقالته من الانقاذ على جهات سياسية وعسكرية عديدة » ، وهذا ما يجسد أبسط ظواهر التناقض مع العادات العسكرية التقليدية المعروفة .

وهناك ظواهر أخرى عديدة أبرزت مدى الابتعاد حتى عن تجسيد الاساليب العسكرية التقليدية ومنها بل في مقدمتها الالتزام الصارم بتنفيذ الأوامر . ان الرائد الركن عامر حسيك يعدد في كتابه حوادث عدة لرفض بعض الضباط تنفيذ أوامر حركة وقتال . من ذلك رفض الملازم حاجو ان ينجد حامية صفد رغم صدور الأوامر اليه (٩٤) . . . ومن « بوادر انحلال الضبط » التي يشير اليها حسيك رفض الملازمين سعدون وعلوش تحريك السريتين اللتين يقودانهما ، لانجاد صفورية والناصرية بحجة انهما أرسلتا الى الشجرة لا الى الناصرة . . . ثم لانهما يتلقيان أوامرها من القاوقجي بالذات (٩٥) . . . أي ان ولاء الضابطين — عدا رفض تنفيذ الأوامر — هو لشخص قائد الجيش وليس للقيادة ، لشيخ القبيلة ، باعتبار ان الضابطين بدويان . . . ولم يعاقب الضابطان بل ان احدهما — علوش — رفع بعد هذه الحادثة بأسابيع قليلة وسلم قيادة فوج .

كذلك شهدت تجربة الانقاذ خلافات وصراعات علنية مكشوفة بل وحتى التحريض من قبل ضابط ضد آخر . ما جرى في يافا بين عادل نجم الدين — قائد الحامية — وميشال العيسى ، الذي عين بدلا عنه ، لا يمكن ان يحصل في اي جيش نظامي ، وكذلك حدث ما هو أسوأ بين الملازم الاول عبد الجبار القيسي والملازم حمود الخطيب في يافا اذ حرض الاول جنود الثاني على قتلهم ودعاهم للعصيان ومغادرة مواقعهم في يافا (٩٦) .